انعكاسات التحولات الدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة على المنطقة العربية: دراسة في الفرص والتحديات

الباحثة نعيمة صادقي
قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة محمد خيضر – بسكرة- (الجزائر)
naimasadk@gmail.com

الملخص:

مثلت المنطقة العربية مجالاً واسعاً للصراع الإيديولوجي بين المعسكرين في حقبة الحرب الباردة (الاستقطاب)، غير أن اختفاء الاتحاد السوفياتي من النظام الدّولي أظهر جلياً أن هذه الدول كانت تعتمد وبشكل كبير في سلوكياتها وقراراتها نحو البيئة الدولية على الظلة السوفياتية، مما يعني أنها ستواجه متغيّرات البيئة الجديدة لوحدها، من أجل مواكبة حركيات التغيير المستحدثة والمستجدة على المستويات الإقليمية بتفاعلاتها الجديدة،اعتماداً على كوامن قدراتها الذاتية، خاصة أمام بروز العامل الاقتصادي والذي تبدى على شكل مشاريع الشراكة، التعاون والاعتماد المتبادل المطروحة من طرف القوى الدولية الكبرى التي تمثل فرصة وتحدي في نفس الوقت، والتي هي حسب الباحثة أدوات لتجديد الرابطة الاستعمارية التاريخية. مرحلة ما بعد الشيوعية حملت في طيّاتها عدّة متغيّرات سياسية- عسكرية- اقتصادية- إستراتيجية- قيمية، مثلت تحديات كبرى على المستوى العالمي وكذلك على المنطقة العربية، استوجبت البحث عن أطر تفسيرية معمقة وأدوات مفاهيمية ملائمة لتحليل واستيعاب جوهر هذه التحولات، وكذلك طبيعتها وانعكاساتها على منطقتنا العربية باعتبار هذه الأخيرة تمثل الحلقة الأضعف من حيث بلوغ قاطرة التقدم.

Abstract

The Arab region represented a wide space of ideological struggle between the two blocks in the Cold War (polarization). However, the disappearance of the Soviet Union from the international system showed that these countries relied to the Soviet Union power on their behavior and decisions towards the international system. It means that will face many changes alone in order to keeping up the regional change's movements with it's new interactions, based on their own capacities, especially in light of the emergence of the economic factor, such us partnership projects, cooperation and interdependence By the great international powers that represent both an opportunity and a challenge, which according on the view of researcher, are means for renewing the historical colonial association. The post-communist stage brought many political, military, economic and strategic changes, that represented major challenges on the world wide specially the Arab region. It imposed to search from deep explanations and conceptual tools to analyze and understand these transformations.witch effect to the Arab region as it 's the weakest side in a path of progress.

***Key words**: globalisation ,international system ,Arab region, global transformations.*

مقدمة:

في ظل الواقع الدّولي المعقد والجديد بعد نهاية الحرب الباردة، تأثرت المنطقة العربية بشكل واضح وكبير بمتغيراته وما حملته من مضامين ومدلولات ما بعد حداثية، قُدمت في هذا الصدد تصورات نظرية مختلفة تستهدف التفسير والتحليل. حتى أن بعض المفكرين اعتبر أن النظام الدّولي الجديد موجه أساساً ضد المنطقة العربية على أساس أن بزوال الخطر الشيوعي ظهر خطر جديد وهو الخطر الأخضر أي الإسلام، ولابد من احتواء هذا الأخير بوضع نظام عالمي تهيمن فيه القوى اللّبرالية المنتصرة (نظرية نهاية التاريخ لفرنسيس فوكوياما). إذ وجدت المنطقة العربية نفسها تواجه مجموعة من التحديات التي باتت تهدد النظام الإقليمي العربي باعتباره جزء من النسق الدّولي يتأثر ويؤثر في تفاعلاته. من هذه المنطلقات الأولية وفي ثنايا هذه الجزئية البحثية تتمحور الإشكالية حول:

كيف انعكست المتغيّرات الدَّولية لفترة ما بعد الحرب الباردة على المنطقة العربية؟ وتتفرع عنها التساؤلات التالية:

- ما طبيعة النظام الدّولي الذي أعقب نهاية الحرب الباردة؟
- فيما تتمثل أبرز المتغيّرات الدّولية التي أثرت على المنطقة العربية بعد الحرب الباردة؟
- ما مدى تأثيرها وكيف يمكن التعامل معها وتقزيمها؟

نفترض أن: المنطقة العربية قابلة للتأثر بالتغيّرات التي اعترت النظام الدّولي لما بعد الحرب الباردة وذلك بسبب تبعيتها عسكريا واقتصاديا للقوى الكبرى في هذا النسق الدولي،إضافة إلى ضعف بنياتها السياسية تكويناتها والمجتمعية وانكماش التفاعلات التكاملية بينها.

لدراسة هذه الإشكالية تم تقسيم الدراسة إلى المحاور التالية:

المحور الأول: طبيعة النظام الدَّولي لفترة ما بعد الحرب الباردة

المحور الثاني: التحولات الدَّولية التي طبعت نهاية الحرب الباردة.

المحور الثالث: انعكاسات التحولات الدَّولية لما بعد الحرب الباردة على المنطقة العربية

المحور الأول: طبيعة النظام الدَّولي لفترة ما بعد الحرب الباردة

1- مقاربة تاريخية للنسق الدّولي:

إن النظام الدَّولي الحالي الذي تهيمن عليه الدولة القطب (الولايات المتحدة الأمريكية) جاء بفعل تراكمات تاريخية في جميع المجالات السياسية- الاقتصادية- العلمية، حيث يوجد رأي يرجح المرجعيات التاريخية للنظام الدّولي الحالي الذي تتربع على عرشه الولايات المتحدة الأمريكية إلى البدايات الأولى لنشوء هذه الدولة سنة 1783 حرب الاستقلال ورأي آخر يرجعها لمعاهدة واستفاليا 1648 مع ظهور مفهوم الدولة الأمّة في المنظومة الأوربية. قبل التطرق للبعد التاريخي لتطور النسق الدولي علينا أن نحدد اولا مفهوم النسق الدولي:

❖ مفهوم النسق الدَّولي: إن مفهوم النسق الدَّولي هو مفهوم افتراضي كما يرى د. جمال سند السويدي،غير أن المصطلح تكوّن في البيئة الأمريكية حيث جرى اختلاف في ترجمتة في الأدبيات العربية:هناك من يرى أنها ترجمة لكلمة "order" بمعنى نظام،بينما رأي آخر ترجمه على أساس " system"، بمعنى نسق أو انتظام.غير أن الباحثة ترى أن استعمالية المصطلح في سياقه هي التي تحدد معناه لان هناك إشكالية في ترجمته واستعماله.

إن أي نظام هدفه الاستقرار والتوازن (Static Aquilibrium)، غير أن نظام ما بعد الحرب الباردة بما حمله من متغيرات وُصِفَ بـ اللانظام، الفوضى، الاضطراب، اللاتوازن. "وهو تفاعل مجموعة فاعلين (من كيانات سياسية- اقتصادية- عسكرية) مع بعضها البعض بصورة منتظمة ومتكررة".

"حسب نظرية النظم أو الأنساق: النظام System هو «مجموعة من العلاقات بين عدد من الفاعلين الموجودين داخل بيئة محددة والخاضعين لصيغة معينة من صيغ الرقابة وضبط الأداء». فالنظام هو بنية Structure ويتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول في أي منها أن يؤدي إلى تحولات في باقي العناصر."[1]

بالنسبة للأشكال التي عرفها النسق الدولي فهي:

أ- نسق متعدد الأقطاب: (Système Multipolaire): يبدأ من العصر الحديث، حتى نهاية الحرب العالمية II، كان قاصراً على الدول الأوربية وكانت قارتي آسيا وإفريقيا

[1] - سعيد محفوظ عقيل،سوريا وتركيا،الواقع الراهن واضاءات المستقبل،لبنان:مركز دراسات الوحدة العربية، 2009، ص 53.

تمثلان مجالاً استعماريًّا واسعاً للدول الأوربية، كما سمّي بنظام "توازن القوى: الذي هو عبارة عن وقف القوة بالقوة".[1]

ب- نسق ثنائي القطبية: (System Bipolaire): استمر من نهاية الحرب العالمية II حتى انهيار المعسكر الشيوعي، "وفيه أصبحت القوى الأوربية تقليدية، بينما الشعوب المستعمرة أصبحت تسمى العالم الثالث وهي الدول المستقلة حديثاً وعلى درجة متواضعة من القوة، وبروز قوتين قطبيتين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي"[2]

ج- نسق الوضع الحالي: بعد انهيار المعسكر السوفيتي وتراجعه كقوة عظمى وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بحكم تفوقها النووي، لتقرير مصير العلاقات الدّولية، أخذ شكل النظام الدولي يأخذ صورة الإمبراطورية العالمية، أي الأحادية القطبية هذا الاتجاه مثله الرأي الأول، ورأي ثاني افترض أننا في ظل تعدد الأقطاب بينما ذهب رأي ثالث ليدافع على فكرة أن توزيع القوى في العالم هو في مرحلة إعادة التشكل وما زالت ملامحه لم تتحدد بعد.غير أن شكل النسق الدولي الحالي حسم فيه الرئيس الأميركي الأسبق "بوش الأب" في خطابه حين قال:" نحن نقترب من خاتمة صراع تاريخي في فترة ما بعد الحرب بين رؤيتين: واحدة من الاستبداد والصراع والديمقراطية والحرية .إن مراجعة العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي التي أكملتها إدارتي للتو توضح الطريق الجديد نحو حل هذا الصراع.[3]

2- الاختلاف حول ضبط طبيعة وشكل النسق الدّولي لما بعد الحرب الباردة:

يعود الاختلاف بين المحللين في تحديد طبيعة النظام الدّولي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة إلى عدّة أسباب:

- عدم وضوح معالم النسق الدّولي الحالي: فخصائص وملامح النظام الدولي الجديد ما تزال ترتسم معالمها حتى اليوم (حسب الرأي الثالث) "نظراً لعدم وضوح مفهوم النظام،

---

[1]- أبو بكر المبروك، بشير أبو عجيلة، "أثر أحداث 11 سبتمبر في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط (2001-2008)، بحث مقدم إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، قسم العلوم السياسية، الخرطوم، 2010، ص05.

[2]- عادل فتحي ثابت عبد الحافظ، النظرية السياسية المعاصرة، دراسة النماذج والنظريات التي قدمت لفهم وتحليل عالم السياسة، مصر، دار الجامعة الجديدة للنشر، 1997، ص218.

3-George H. W. Bush: Miller center. https://millercenter.org/president/bush..

فأحياناً يفسر هذا المفهوم على أنّه «نمط توزيع القوة بين الدول»، وأحياناً يفسر على أنّه: «نمط للعلاقات القائمة بين الدول الرئيسية في النظام»"[1]

- برز رأي يدافع على فكرة أن الاتحاد السوفيتي مازال لم يتخلى عن شحنته الإيديولوجية، وعاد إلى الواجهة في العديد من الأزمات للدفاع عن مصالحه التقليدية كمثال: الأزمة السورية، أزمة جورجيا،لكن في ثوب جديد هو روسيا.

- الاختلاف في معيار التصنيف: "حيث يوجد طرح يرتكز على مفهوم القوة العسكرية، بينما يركز آخرون على القاعدة الاقتصادية"[2]

غير انه بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، بدا جلياً حسب المنظرين في نظرية الأنساق أن تبنِّي الولايات المتحدة الأمريكية لنظرية الحرب الاستباقية يعكس أحادية النظام الدّولي، حيث تصرفت الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها في العديد من بؤر التوتر في العالم: العراق- أفغانستان، كما "تبنت نظرية الفوضى الخلاقةChaos Theory التي شرعنت لأمريكا بسط يدها على عدة مناطق وأزمات وقضايا. ويفترض شار انسكي وفقا لهذه النظرية أن نشر الديمقراطية والحرية في مجتمعات الخوف ليست مجرد ضرورة أخلاقية فقط ويحذر من فكرة التعايش مع الأنظمة الديكتاتورية بدعوى عدم الإطاحة بهذه الأنظمة قد يؤدي إلى المزيد من عدم الاستقرار"[3]

هذه المبررات الواهية اعتمدتها السياسة الخارجية الأمريكية لقلب عدة أنظمة سياسية في المنطقة العربية، وعمّقت تفكيك المنطقة العربية على أسس مذهبية ودينية وما تحت عرقية مثال: العراق- اليمن- سوريا.

على المستوى النظري كانت هناك اختلافات بين منظري الاتجاه الواقعي، حيث أبرز مورغانثو فضائل نظام توازن القوى التقليدي المتعدد الأقطاب ويرى أن نظام الثنائية القطبية الذي برزت فيه الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي يحمل العديد من المخاطر، بالمقابل كينيث ولتز Kenneth Waltz يعتقد أن النظام الثنائي القطبية أكثر استقراراً من النظام المتعدد الأقطاب.

---

[1]- النظام الدولي بعد الحرب الباردة، تحولات مفهوم القوة وصعود اللاعبين الجدد:
www.alghad.com/m/articles

[2]- المرجع نفسه.

[3]- رمزي المنيا ني، الفوضى الخلاقة، السيناريو الأمريكي لتفتيت الشرق الأوسط والنظرية الصهيونية التي تبنتها أمريكا لشرذمته، دمشق، دار الكتاب العربي، 2012، ص ص 10-11.

"فالنظام الدولي وفق النيواقعية يتشكل من مجموعة القوى الكبرى كل منها تسعى للحفاظ عن وجودها وبقاءها في ظل هذا النظام الفوضوي كل دولة تهتم فقط بمصالحها غير أنَّ الدول الضعيفة تسعى لإيجاد نوع من التوازن بدلاً من الدخول في صراع مع الخصوم الأقوياء"[1].فالدول العربية في ظل هذا النظام تسعى هي كذلك لإيجاد التوازن والامتناع عن التصادم مع القوى الكبرى.

المحور الثاني: التحولات الدولية التي طبعت نهاية الحرب الباردة

نتج عن نهاية الحرب الباردة بصورة مباشرة تصدع المعسكر الشيوعي وحل حلف وارسو، وهو ما أدى بدوره إلى استقلال الجمهوريات السوفيتية مما يعني اتساع أعضاء المجتمع الدولي بظهور دول جديدة، وفواعل جديدة: حيث كنا في السابق نتحدث فقط عن الدولة كفاعل أساسي ووحدوي في النظام الدولي، اليوم أصبحنا نتحدث عن الإثنية، المنظمات الدولية، منظمات المجتمع الأهلي، فالنظام الدولاتي على حد تعبير "جيمس روزنو" لم يعد المحور المركزي للنظام الدولي، بل أصبح متواجد جنباً إلى جنب مع نظام متعدد التمركز،تلعب فيه الفواعل ما تحت الدولة وما فوق الدولة دورا محورياً. "المقصود بالتحولات الدَّولية، هي تلك العوامل التي أدت إلى إحداث تغييرات هيكلية في بنية النظام الدولي والتي أسهمت في تحوله من نظام يقوم على القطبية الثنائية إلى آخر يقوم على الأحادية"[2].

الباحثة تقسم أبرز التغيرات الدولية التي طبعت بنية ما بعد الحرب الباردة إلى مستويين:

- المستوى النظري.
- المستوى الممارساتي الواقعي.

1- على المستوى النظري:

ثنائية الاتصالية /القطيعة في التنظير: المسلم به أنَّ الهدف من النظرية هو التفسير كذلك للتنبؤ ونظرا لعجز النظريات القائمة عن التنبؤ بنهاية الحرب الباردة، تعالت أصوات تنادي بالإفلاس الأكاديمي لبعض النظريات القائمة، لذلك سعت هذه المدارس النظرية للتكيف مع مواضيع ومتغيرات الواقع الجديد فالواقعية مثلا: ظهرت

---

[1]- ستيفن وولت، نظرية العلاقات الدولية: عالم واحد نظريات متعددة: ترجمة: عادل زقاغ، علم السياسة والعلاقات الدولية، قراءات عالمية، مجلد 1، عدد 1، باتنة، 2005.

[2]- أبو القاسم أحمد أبو هديمة، "المتغيرات الدولية وأثرها على الوطن العربي"، مجلة العلوم القانونية والشرعية، العجيلات، العدد 8، د.س.ن، ص ص 109-150.

إسهامات نظرية جديدة تمثلت في الواقعية الجديدة- الواقعية الهجومية والدفاعية تستوعب الفواعل الجديدة.تتساءل الباحثة:هل هناك قطيعة أم اتصالية (نظرية) في التنظير في فترة ما بعد الحرب الباردة ؟

انقسمت الاتجاهات في هذا الصدد:فهناك اتجاه يدافع عن الاتصالية في التنظير يسمى بالجسور النظرية أو الاعتماد النظري المتبادل، فالقول بانتهاء الواقعية مثلا غير ممكن، واتجاه آخر يدافع عن القطيعة النظرية بدليل النشاط الذي عرفته الاتجاهات التكوينية ما بعد الحداثية.

"أصبحت الدراسات الأكاديمية للشؤون الدولية أكثر تنوعا منذ نهاية الحرب الباردة كما حصل عدد كبير من المناهج النظرية على الشرعية كما أدرجت مواضيع جديدة في أجندة النظريات كالنزاعات الاثنية- البينية- مستقبل الدولة"[1]

أ- التحول في المفاهيم: مفهوم القوة: "تراجع العامل العسكري مقابل بروز العامل الاقتصادي"، انعكس على التحول في مفهوم القوة، حيث سيطر مفهوم القوة العسكرية الذي مثلته الواقعية لعقود والذي يعني: أن امتلاك القوة ليس هو المعيار الأساسي للتأثير عن إرادة الدول الأخرى وتحقيق المصلحة، بل القدرة على استعمالها أي فن إدارتها، حسب ما يمليه الواقع الدولي.سابقا كانت القوة العسكرية هي الأداة الأكثر تأثيراً في سياسات الآخرين لكن تطورات العصر جعلت الأداة الاقتصادية هي معيار القوة والتفوق، لأنّ القوة العسكرية مكلفة ونتائجها غير مضمونة أي تراجع ربحية الحرب المباشرة وأصبح التركيز على القوة الناعمة soft power "جوزيف ناي " حسب الطرح الليبرالي.

ب- مفهوم الأمن: مثل التهديد العسكري المباشر أهم مصادر الخطر في العلاقات الدولية بين الدول في ظل الحرب الباردة غير أنّ زوال الاتحاد السوفيتي خلف مصادر تهديد جديدة لم تكن معروفة انفلاتات أمنية داخلية أي النزاعات الاثنية والعرقية- انتشار الأوبئة- الفقر- الهجرة- الإرهاب- الجريمة المنظمة، حيث لا تصلح الأجندة العسكرية لمواجهة هذه الأنماط من مصادر التهديد هذا ما أدى إلى إعادة التنظيم في مفهوم الأمن إذ أصبحنا نتحدث عن الأمن ألتعددي، الأمن الموسع الذي يستوعب الفواعل والمصادر الجديدة للتهديد كما أنّ ظهور التهديدات الأمنية الجديدة رافقه الحديث عن مفهوم الأمن الإنساني الذي يرتكز على:

[1]- ستيفن وولت، العلاقات الدولية، عالم واحد نظريات متعددة، تر: عادل زقاع، مرجع سابق، www.geocities.com/adel

- حياة الإنسان: صيانة كرامته، - حاجيات الإنسان: تلبية احتياجاته المعنوية إلى جانب المادية. - رفاهية الإنسان: تتطلب التنمية المستدامة.

ج- الأمن النقدي: "عرَّفهُ كين بوث" بمفهوم الإنعتاق أي تحرير الشعوب من القيود التي تعيق مسعاها للمُضِّي قدماً في اتجاه تجسيد حياتها ومن بين هذه القيود: الحرب- الفقر- الاضطهاد- نقص التعليم وغيرها.

2- على المستوى الواقعي:

أولاً - الجوانب السياسية:

أ- التحول في بنية النسق الدولي: إنَّ النظام السياسي الدَّولي الذي أعقب احتفاء الكتلة الشرقية ميَّزه تحول في بنية القوى المتحكمة فيه، واكبه تحول في عناصر القوة وكذلك تحول في القوى: برز الاتحاد الأوربي-روسيا- الصين كقوى اقتصادية منافسة للقطب الأمريكي.

حيث افترض الدكتور جمال سند السويدي هرمية توزيع القوة عناصر القوة كالتالي:[1]

❖ التحول في هرمية توزيع القوة:

جمال السند السويدي: آفاق العصر الأمريكي: السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد.الو م أ القطب المهيمن على العالم وان العالم لم يزل يشرف آفاق العصر الأمريكي (5 عقود) إدراج الكتاب معطيات للمقارنة بين القوى المهيمنة في النظام الدولي الجديد- الاقتصاد- التطور العسكري- موارد الطاقة- النقل- التعليم- الثقافة

ب- التقدم التقني: وفقا لهذه المقاييس تم تحديد بنية القوة في النظام العالمي الجديد في نظام هرمي: تعتلي قمته الو م أ منفردة، ثم في المرتبة الثانية كل من: الصين - روسيا -الاتحاد الأوروبي، ثالثاً: الهند- البرازيل- اليابان وأخيراً باقي الدول. (أنظر الشكل 1)

[1]- جمال سند السويدي، آفاق العصر الأمريكي، السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد، الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014، ص 56.

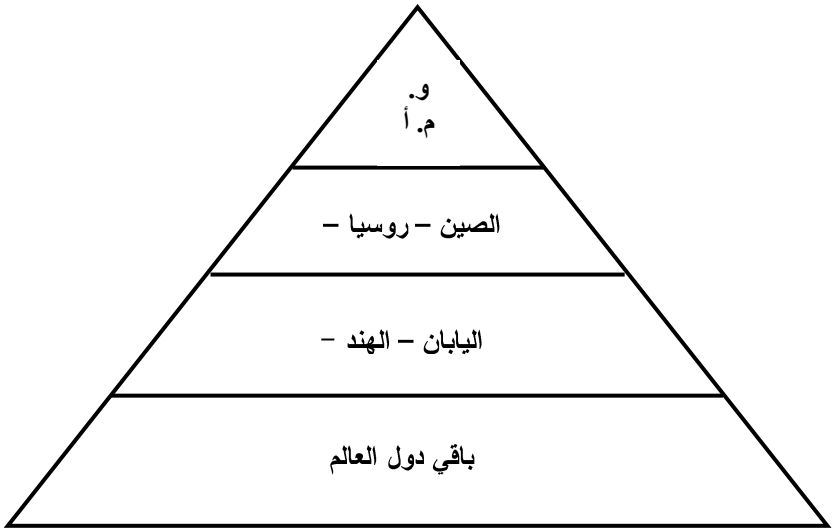

الشكل (1): ترتيب القوى في النظام العالمي الجديد

- **وفق المنظور النسقي (النظمي)** Systémique Théorie (

فالخصائص الهيكلية للنظام الدَّولي هي التي تحدد سلوك الوحدات السياسية والدولية المكونة للنظام الدَّولي.

كما أن النظام الإقليمي يتأثر ويؤثر في المتفاعلات القادمة من البيئة الدَّولية.

- **النظرية الواقعية الجديدة (كينيث ولتز) "Kenneth Waltz" يفترض أنَّ النسق الدَّولي هو الذي يتحكم في حركيات الفاعلين كما أنَّه يضع القواعد المنظمة للسلوك.**
- **النظرية البنيوية: التحول في بنية النظام الدَّولي ميَّزه الإعلان عن نظام دولي جديد، أعلنت الولايات المتحدة عن بداية عصر جديد هو العصر الأمريكي أو القرن الأمريكي واستخدم الرئيس بوش الأب توصيف: النظام الدولي الجديد (New International Order)، والذي يهدف وفق تصوره إلى: الديمقراطية– العدالة– السلام– احترام حقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب.**

ثانياً – الجوانب الاقتصادية:

برز المتغيِّر الاقتصادي بشكل جليٍّ بعد الحرب الباردة مقابل تراجع العامل العسكري، ويعود ذلك إلى:

– تراجع منفعة القوة العسكرية والخسائر الناجمة عن السلوك العسكري، إذْ أصبح بالإمكان تحقيق نفس الأهداف التي كانت تتحقق سابقاً بالوسائل العسكرية لكن بخسائر أقل ومنافع أكثر وهي القوة الناعمة (Soft power).

- بروز ظاهرة العولمة واتساع دور الشبكات.
- ظاهرة الإقليمية والتكتلات الاقتصادية في أقاليم جهوية.
- الدور العولمي للمؤسسات المالية العالمية.
- عولمة الاقتصاد العالمي وتراجع دور الدولة لصالح المنظمات الإقليمية (التكتلات) والتنظيمات الدولية كذلك الاندماج في السوق العالمي خاصة أمام زيادة التدفقات عبر الوطنية نحو تدويل السلع– رؤوس الأموال– الأشخاص– الخدمات.

1) بروز ظاهرة الاعتماد الاقتصادي المتبادل: L'inter dépendance

حيث تم طرح فكرة الاعتماد المتبادل في إطار وتوجهات النظرية الليبرالية من أجل تجاوز فكرة الصراع والحرب التي دافعت عنها الواقعية.

إنّ ظاهرة الاعتماد المتبادل هي أداة تعاونية يُراد منها التقليل من ظاهرة الصراع، حيث يفترض شارلز دايفيد فيليب وعفاف بن سايح أن: "«الاعتماد المتبادل يؤدي إلى خلق مصالح مشتركة يصبح بعدها اللجوء إلى إستراتيجية الحرب أو النزاع مكلف جدًّا»"[1]

2) نمو ظاهرة الإقليمية بالموازاة مع اتساع حدة العولمة:

3) من تجليات الدولة الاقتصادية انتقال ولاء الفرد من المستويات الوطنية إلى المستويات ما فوق الوطنية أي للمؤسسات وأجهزة التكامل، كما ظهر توجه عالمي نحو تكريس نظم للتكاملات الإقليمية: كالتجمعات الاقتصادية التي تحركها تفاعلات: التعاون– الشراكة– الاعتماد المتبادل، خصوصاً أمام تعميق نشاط الشركات متعددة الجنسية.

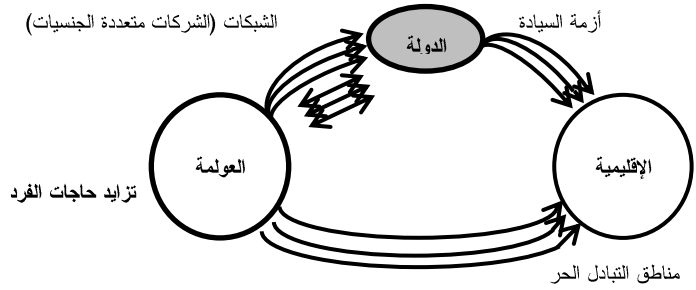

مناطق التبادل الحر (تحرير التجارة)

مخطط من إنجاز الباحثة: تفاعلات (الدولة – الإقليمية – العولمة)

[1]– *Charles Phillip David, Afaf Ben Sayeh, La paix par l'intégration, théories sur l'interdépendance et nouveaux problèmes de la sécurité, Remue études internationales, volume 23 n°02, 1997, P227.*

فسر الطرح التكاملي زيادة تشبيك التفاعلات وحركيات الاعتماد المتبادل شكل تجمعات اقتصادية في أقاليم متقاربة جغرافيا بزيادة درجات الاتصال بين الجماعات الإقليمية (نظرية كارل دوتش) في ظل ثنائية الإقليمية /العولمة: Régionalisme globalisation/. دخلنا مرحلة ما بعد بروتن وودز "Brotton Woods" التي ميَّزها اتجاه نحو إقامة تكتلات إقليمية اقتصادية كبرى تعكس العلاقات والتفاعلات بين الدول الرأسمالية المحكومة بديناميكية العولمة / الإقليمية."[1]

4) الثورة التكنولوجية والمعرفة:

إنَّ التطور الذي شهدته نظم التفكير وأمام حرية التفكير التي أتاحها الطرح اللِّيبرالي بإعطاء مساحة واسعة للفرد، أدى إلى زيادة المنتوج الفكري إلى جانب زيادة الاختراعات والتكنولوجيات في ظل مجتمع المعرفة التعددي وهو ما انعكس بدوره على سرعة حركية تنقل المعلومة وأصبح كل شيء مكشوف داخل الدولة (تعرية الدولة). إنَّ الثورة التي شهدتها نظم المعلوماتية والبرمجيات الرقمية هي وليدة التجديد في المعرفة العلمية "حيث يقدر العلماء أن المعرفة العلمية تتضاعف بمعدل مرة كل عشر سنوات، كما أنَّ معظم التكنولوجيات المتوفرة يجري تجاوزها كل 5-7 سنوات وفي مجال الإلكترونيات لا تزيد المدة عن ثلاث سنوات".[2]

المحور الثالث: انعكاسات التحولات الدولية لما بعد الحرب الباردة على المنطقة العربية

كانت الولايات المتحدة هي القوة العالمية المسيطرة منذ عام 1945، وقد سعى قادة الولايات المتحدة طويلاً للحفاظ على هذا الموقف المميز .حيث فهموا أن الريادة جلبت فوائد مهمة .جعل من الدول الأخرى لا تهدد أميركا أو مصالحها الحيوية المباشرة .من خلال تثبيط المنافسة مع القوة العظمى وإعطاء واشنطن القدرة على تشكيل موازين القوى الإقليمية، ساهمت الرّيادة في جعل البيئة الدولية أكثر هدوءا .هذا الهدوء يعزز الرخاء العالمي، يعمل المستثمرون والتجار بثقة أكبر عندما يكون خطر الحرب أقل .أعطت الأولوية

[1] – مصطفى بخوش، حوض البحر الأبيض المتوسط بعد نهاية الحرب الباردة، دراسة في الرهانات والأهداف، مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2006، ص 23.

[2] – وليد عبد الحي، تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية،الأردن: مؤسسة الشرق الأوسط للنشر، 1994، ص 140.

أيضاً للولايات المتحدة القدرة على العمل من أجل أهداف إيجابية: تعزيز حقوق الإنسان ومنع انتشار أسلحة الدمار الشامل[1].

1- الانعكاسات السياسية والعسكرية:

أ- السياسية:

أ-1- إضعاف مكانة الدولة الوطنية: متغيِّرات مرحلة ما بعد الحرب الباردة (العولمة) ساهمت بشكل فعلي في إضعاف الدولة الأمَّة في جميع المجالات كما يبدو واضحاً في حالة الدولة الضعيفة سياسياً- اقتصادياً- عسكرياً- تعليمياً- ثقافياً، "باعتبارها لا تملك حوائط صد ذاتية دفاعية كافية للاشتباك الايجابي مع موجات العولمة والاستفادة منها أو على الأقل تحجيم تأثيراتها".[2]

هذا ما ذهب إليه د. جمال سند السويد حيث أشاطره الطرح على أساس أنَّ العولمة بتجلياتها أضعفت التيارات العربية القائمة حيث تراجع التيار القومي- الاشتراكي- الإسلامي مقابل بروز التيارات اللِّبرالية والعلمانية. هذا بالنسبة للتنظيمات الحزبية داخلياً، أمَّا إقليمياً: فبعد أحداث 11 سبتمبر 2001 أصبح النظام الإقليمي العربي مخترقاً بسبب تأثيرات الولايات المتحدة الأمريكية التي زاد نفوذها في المنطقة العربية تحت مظلة الحلف الأطلسي باسم مكافحة الإرهاب. وظهرت الدول العربية ضعيفةً خصوصاً بعد الثورات وتراجع الدور الإقليمي لـ: مصر- سوريا، أدى إلى التَّمدد الاستراتيجي لقوى إقليمية غير عربية (إيران- تركيا) لملأ الفراغ الناجم عن تراجع قوة مصر- سوريا في المنطقة، حتى أنَّ التنظيم العربي الإقليمي المتمثل في جامعة الدول العربية بدت مشلولة للدفاع عن المكانة السياسية للدول العربية واحتواء المدخلات القادمة من البيئة الدولية.

أ-2- الدمقرطة وفرض المنظومة اللِّيبرالية: تستورد الدول العربية قيم حكم جاهزة من الخارج لتسيير دفة الحكم. ونظراً لأن المنظومة اللِّبرالية هي التي تفوقت في الحرب الباردة، فهي النموذج المرغوب في العالم ككل. كما أنَّ الو م أ ستعمل بالاعتماد على بعض القوى الإقليمية القائدة للتغلغل في المنطقة العربية وتحقيق ذلك.

---

[2] - *Stephen M.Walt. The End of the American Era http://nationalinterest.org/article/the-end-the-american-era-6037.*

[2]- جمال سند السويدي، مرجع سابق، ص 14.

الهيمنة سياسياً: "الهيمنة تعني أنْ تتمكن قوَّةٌ كبيرةٌ من فرض مفاهيمها على الآخرين"[1] وبإسقاط النظرية الغرامشية، تمكنت الولايات المتحدةُ الأمريكية من فرض منظومتها اللّيبرالية على المنطقة العربية سواءًا بالقروض أو المساعدات وحتى بالقوةُ العسكرية،"فقد طرحت مجموعة من الشعارات مثل توسيع الديمقراطية وتعزيز حقوق الإنسان بين الدول، واستطاعت أنْ تشحن هذه الإيديولوجيات في مؤسسات المجتمع المدني من خلال ابتزازها بتوفير الاعتمادات المالية الضرورية لبقاء الهيمنة الكنائس- المنظمات التطوعية- النظام التعليمي".[2]

أ-3- الأمن المطلق لإسرائيل / مشروع الشرق الأوسط الكبير: لم تشارك الأنظمة السياسية العربية في صياغة مشروع الشرق الأوسط الكبير، بل رضخت للأمر الواقع لأنَّهُ جاء مفروضاً، ويهدف هذا المشروع أساساً إلى:

– تفكيك البنية الثقافية للأنظمة السياسية العربية التي تُعتبر وفق التصور الأمريكي مهَدِّدَةٌ ومنتجة للإرهاب.

– دمج إسرائيل في المنطقة العربية: عسكرياً: من خلال غض الطرف عن مشروعها النووي–تجارياً: إعادةُ نسج العلاقات (ديمونا)، الاقتصادية في المنطقة.

أ-4- اللا استقرار السياسي: ويعود ذلك لأنَّ طبيعة أنظمة الحكم العربية ليست أنظمة مؤسسات، بل هي أنظمة أشخاص.

ب – العسكرية:

ب- 1 – التحول من الردع إلى التدخل العسكري المباشر في المنطقة العربية:

يفترض الإستراتيجيون أنَّهُ بعد اختفاء العدو السوفيتي أصبحت المنطقة العربية هي العدو في نظر القطب المهيمن، حيث أكَّدت حرب الخليج II 1991 وحرب الخليج III 2003 أن العنصر العسكري عامل محدد وحاسم في يَّد القوةُ المهيمنة هذه الإستراتيجية المزدوجة قائمة على:

– احتواء أنقاض الشيوعية ومنع الدول العربية من امتلاك عناصر القوةُ، العراق حليف السوفيات ويجب محو الإيديولوجية الاشتراكية لتحل محلها الإيديولوجية اللّيبرالية.

---

[1]- *John Baylis, Steve Smith, The Globalisation of World Politics, 3rd edi, New York: Oxford University press, 2005, P 236.*

[2] - *Ibid.*

- خلق عدُّو جديد؛[1] إذْ لا يمكن للقوة الأمريكية أن تتطور بدون منافس (نظرية التحدي والاستجابة لـ لأرنولد توينبي).

ب- 2 - تسليح المنطقة العربية:

تعيش الأقطاب الإقليمية معضلة أمنية (وفق الطرح الواقعي)، لذلك تتنافس على تسليح جيوشها على حساب مشاريع التنمية الاقتصادية، مقارنة بالدول ذات الاقتصاديات المتطورة التي ارتكزت على العامل الاقتصادي غير أن الدول العربية لازالت نخبها الحاكمة تقليدية الفكر، تعتقد أن القوة العسكرية هي معيار التطور، لذلك عقدت صفقات سلاح مع الو.م.أ، وهو ما يُؤَزِم القلاقل والنزاعات العربية- عربية مثل النزاع المغربي- الجزائري الخامد. كما تهدف الولايات المتحدة الأمريكية إلى رفع قدرتها الإنتاجية في مجال التصنيع العسكري (المركب الصناعي العسكري ABM)، أين تحتل الصدارة كمًّا وكيفاً في هذا الميدان وهو الوضع الذي أجبر الولايات المتحدة الأمريكية على افتعال حروب بالنيابة (بالوكالة). لتفعيل وتنشيط الماكينة الصناعية العسكرية.[2]

ب - 3 - الدَّعم العسكري المطلق لإسرائيل:

ترتكز السياسة الخارجية الأمريكية في تعاملها مع الصراع العربي- الإسرائيلي على سياسة الكيل بمكيالين، حيث تقوم بدعم إسرائيل سياسياً ودبلوماسياً عبر منابر هيمنة الأمم المتحدة. [*]

2 - الانعكاسات الاقتصادية:

يطرح جيمس كولمان فكرة أن بروز العنصر الاقتصادي كمحرك للسياسات الدولية في النظام الدَّولي الجديد بعد تراجع عنصر الإيديولوجيات، جعل التوجهات ذات النزعة الاقتصادية بمثابة الايدولوجيا الجديدة، لها أيضاً أدواتها السياسية.[4] .فالمؤسسات الدولية تساهم بطريقة غير مباشرة في الإبقاء على تبعية دول المحيط للمركز عن طريق شروطها التي تفرضها على الدول التي تعرف عجزاً اقتصادياً وتلجأ للدين الخارجي.

---

[1] - مصطفى بخوش، مرجع سابق، ص22.

[2] - عبد الإله بلقزيز، حرب الخليج والنظام الدَّولي الجديد: الوطن العربي إلى أين؟، بيروت، دار الطليعة، 1993، ص104.

* المنظمات الدولية في ظل هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على السياسة العالمية أصبحت أدوات في خدمة السياسة الخارجية الأمريكية وتحقيق توجهاتها لبسط نفوذها على العالم.

[4] - مصطفى بخوش، التحول في مفهوم الأمن وانعكاساته على الترتيبات الأمنية في المتوسط متحصل عليه:
http://www.politics-dz.com

الواقع الدَّولي الراهن في ظل عولمة الاقتصاد فرض على اقتصاديات الدول العربية فتح أسواقها أمام التجارة الحرَّة، كما كرَّس فكرة التبعية من خلال عدَّة آليّات ووسائل، كالتبادل غير المتكافئ: حيث تعمل الشركات متعددة الجنسية على إضعاف اقتصاديات الدول العربية والإبقاء على ضمان وصول المواد الخام للدول العربية بأسعار زهيدة، حيث يسميها مفكرو الماركسية بالليبرالية الامبريالية الجارحة أو الكاسرة.

تُلخص الباحثة الانعكاسات الاقتصادية لتحولات فترة ما بعد الحرب الباردة على المنطقة العربية فيما يلي:

- التبعية الاقتصادية للخارج على حساب التعاون الإقليمي.
- التوجه نحو الشراكة فوق الإقليمية في ظل غياب بديل عربي محلي.
- الأمن الطاقوي: عدم التوازن في أطراف معادلة الأمن الطاقوي حيث أن المُسلَم به أن تكون الشراكة بين أطراف أقوياء اقتصادياً.

الملاحظ أنَّ الانعكاسات الاقتصادية يطغى عليها الجانب السلبي لكن ترى الباحثة أن الدول العربية استفادت ايجابياً من مزايا اقتصاد السوق والتجارة الإلكترونية.

3- الانعكاسات الاجتماعية والثقافية:

تعد العولمة كلمة مفتاحية لفهم وتفسير الانعكاسات الاجتماعية والثقافية على المجتمعات العربية في ظل تحولات ما بعد الحرب الباردة. تعرف الباحثة العولمة على أنَّها ظاهرة كونية متعددة الرؤوس ومتفرعة الأذرع، تتداخل فيها عدَّة تفاعلات ذات أبعاد اقتصادية سياسية- ثقافية- تكنولوجية- علمية- عسكرية- قيمية، وتتشابك فيها حركيات تدفق: السلع- الخدمات- المال- الأفكار- البشر بغير قيود ولا حدود.

أ- عولمة المخاطر[1]: إيريك باخ Irlikh Bek المفكر الألماني يفسِّر متغيرات هذه المرحلة بمصطلح عولمة المخاطر، والتي نتجت عن المجتمع الصناعي الحديث وتكنولوجيا الاتصالات: حدد هذه المخاطر في كتابه مجتمع المخاطر العالمي، كالتالي: المخاطر المصنعة – المخاطر البيئية – المخاطر الصحية.

ب- عولمة الهوية: استشهد المفكر الباحث جمال سند السويدي بالعالم الروسي البارز في مجال الدراسات الأمريكية أناتولي تي أوت كين Anatoly T. Othkin في نظرته إلى النظام العالمي الجديد للقرن الحادي والعشرين: أن المستقبل الذي يحمل في داخله

1-ياسين السيد،العولمة ومجتمع المخاطر،أخر تحد يث 13.01.2011،متحصل عليه.
http://www.ahram.org.eg/archive/The-Writers/News/58135.aspx

تقارب الشعوب سيصبح الناس فيه متشابهين كمنظمات ليس في ملابسهم فقط ووجود لغة عالمية الاستخدام وعولمة الثقافة والطعام والإدمان والتسلية وآليات العمل وإنّما الشيفرة النفسية أيضاً، ويرى أنهم يتقاربون ويتشاركون بشكل أعمق في القيم العامة متحولون فعلياً إلى قرية كونية واحدة مما سيؤدي مستقبلاً إلى اختفاء الحدود الفاصلة بين "نحن" و"هم" وستتغيَّرُ علوم هندسة البيولوجيا الجزئية والاستنساخ وصناعات الربوتات والمعلوماتية والعالم المألوف بالنسبة إلى البشر بشكل جذري.[1]

ترى الباحثة أن متغيرات ما بعد الحرب الباردة في شقها الهوياتي المجتمعي انعكست على المجتمع العربي على شكل تهديد اللُّغة المحلية وغربنة القيم (Westernisation) وهيمنة الثقافة الغربية على نمط الحياة العربية.الإعلام كذلك يروج للنموذج الاستهلاكي الغربي تحت تأثير ثقافة الصورة التي تصنع السلوك،كما عمل على تصعيد العنف وتكريس ثقافة التطرف لدى الشباب العربي، إضافة إلى مشكلات الهجرة كذلك نتيجة الحروب،النزاعات الاثنية وتفكك الدولة التي عمقت بشكليها: الداخلية من المناطق غير الحضرية إلى المناطق الحضرية والخارجية من الدول العربية إلى الدول الغربية.

خاتمة:

ظلت المنطقة العربية وخلال العديد من المحطات التاريخية الفارقة مستهدفة، وشكلت محوراً مهماً في سلم اهتمامات القوى الدولية الكبرى التي هيمنت على النظام الدَّولي، من دول مستعمرة "القوى الاستعمارية التقليدية (بريطانيا- فرنسا- ايطاليا)" إلى سوق استهلاكية للمنتجات الغربية في ظل النظام الدَّولي الجديد الذي أضعف حركياتها السياسية والاقتصادية والعسكرية بشكل معمق في ظل نسق معولم التوجه.

ومن خلال استعراض لتأثيرات منظومة القيم اللِّبرالية الجديدة في ظل النظام الدَّولي الجديد على منطقتنا العربية توصلنا للجزئيات التالية:

- تأثرت المنطقة العربية بتحولات ما بعد الحرب الباردة أكثر من أي منطقة أخرى، الباحثة تطرح التساؤل لماذا؟

أولاً: انعكاسات هذه المرحلة على المنطقة العربية كانت إفرازات سلبية أكثر منها ايجابية.

[1]- جمال سند السويدي، المرجع السابق، ص 532.

ثانياً: أنّها واجهت تيار العولمة لوحدها فرادى أي لا توجد حوائط صد إقليمية تكون كمناعة ضد موجات العولمة التي اجتاحت النسق الفكري السياسي المجتمعي الاقتصادي العربي، زد على ذلك المسار التكاملي العربي في حالة جمود.

– زيادة تهميش المنطقة العربية، عوض أن تكون فاعلاً أصبحت مفعول به.

– المنطقة العربية أكثر قابلية للتأثر بالتغيُّرات التي اعترت النظام الدَّولي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة بسبب ضعفها ومحدودية قدراتها الاقتصادية والعسكرية وهشاشة تكويناتها السياسية.

مستقبل المنطقة العربية في المتغيِّرات الجديدة مرتبط باستحداث آليات التكيف مع المؤثرات الإقليمية والدولية، وذلك لا يتأتَّى إلا بوجود نخبة جديدة تكون قوية، تحدث قطيعة مع الأنظمة السياسية القائمة وتتبنَّى مشروع عربي مشترك.

قائمة المراجع:

أولا – باللغة العربية:

أ – الكتب والأوراق البحثية:

1– المنيا ني رمزي، الفوضى الخلاقة، السيناريو الأمريكي لتفتيت الشرق الأوسط والنظرية الصهيونية التي تبنتها أمريكا لشرذمته، دمشق، دار الكتاب العربي، 2012.

2– السويدي جمال سند، آفاق العصر الأمريكي، السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد، الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2014.

3– بخوش مصطفى، حوض البحر الأبيض المتوسط بعد نهاية الحرب الباردة، دراسة في الرهانات والأهداف، مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2006.

4– ثابت عبد الحافظ عادل فتحي، النظرية السياسية المعاصرة، دراسة النماذج والنظريات التي قدمت لفهم وتحليل عالم السياسة، مصر، دار الجامعة الجديدة للنشر، 1997

5– محفوظ عقيل سعيد، سوريا، تركيا، الواقع الراهن واضاءات المستقبل، لبنان مركز دراسات الوحدة العربية، 2009.

6– عبد الحي وليد، تحول المسلمات في نظريات العلاقات الدولية،الأردن: مؤسسة الشرق الأوسط للنشر، 1994.

7– عبد الإله بلقزيز، حرب الخليج والنظام الدَّولي الجديد: الوطن العربي إلى أين؟، بيروت، دار الطليعة، 1993.

8– أبو بكر المبروك، بشير أبو عجيلة، "أثر أحداث 11 سبتمبر في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط (2001–2008)، بحث مقدم إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة الدكتوراه في العلوم السياسية، كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، قسم العلوم السياسية، الخرطوم، 2010.

2- المجلات والدوريات:

1- ستيفن وولت، نظرية العلاقات الدولية: عالم واحد نظريات متعددة: تر عادل زقاغ، علم السياسة والعلاقات الدولية، قراءات عالمية، مجلد1، عدد1، باتنة، 2005.

2 - أبو القاسم أحمد أبو هديمة، "المتغيرات الدولية وأثرها على الوطن العربي"، مجلة العلوم القانونية والشرعية، العجيلات، العدد 8، د.س.ن.

3 - مواقع الواب:

1- مصطفى بخوش، التحول في مفهوم الأمن وانعكاساته على الترتيبات الأمنية في المتوسط متحصل عليه: *http://www.politics-dz.com*

2- السيد ياسين،العولمة ومجتمع المخاطر،آخر تحد يث 13.01.2011،متحصل عليه.

http://www.ahram.org.eg/archive/The-Writers/News/58135.aspx

ثانيا - المراجع باللغة الأجنبية:

1-Books:

1- John Baylis, Steve Smith, The Globalisation of World Politics, 3rd edi, New York: Oxford University press, 2005

2- Periodicals:

1- Charles Phillip David, Afaf Ben Sayeh, La paix par l'intégration, théories sur l'interdépendance et nouveaux problèmes de la sécurité, Remue études internationales, volume 23 n°02, 1997, P227.

3-web links and working papers:

1- George H. W. Bush:Miller center https://millercenter.org/president/bush.

***2** - Stephen M. Walt. The End of the American Era http://nationalinterest.org/article/the-end-the-american-era-6037.*